رمزيةُ التَعبيرِ

في شعرِ طلائع بن رُزّيك

إعداد

الباحثة/ أميرة حماده محمد محمود

باحثة ماجستير في الآداب تخصص/ اللغة العربية

كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام : ٨ / ٩/ ٢٠٢٢م

تاريخ القبول : ١٥/ ٩/ ٢٠٢٢م

ملخص:

تناول هذا البحث رمزية التعبير في شعر طلائع بن رزيك، ورمزية التعبير تعني التأثر بوسائل الصورة الرمزية تأثرًا جزئيًا، دون التأثر بأصولها العامة، وقد تناولت الباحثة عددًا من الصور الرمزية، من خلال تحليلها للتشخيص، وهو بث الصفات الإنسانية على غير الإنسان، ثم التجسيد، وفيه يتم نقل المعاني المجردة إلى الحسي المدرك بالحواس، كما تناولت تراسل الحواس، وهي تعمل وصف مدركات حاسة بصفات حاسة أخرى، ثم تناولت التجريد، وهو تحويل المحسوسات إلى معاني مجردة، ثم التجميد وهو سلب سمة الحياة من الكائن الحي بشكل عام، وأخيرًا قامت الباحثة بعمل تحليل إحصائي لهذه الوسائل.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الرمزية، طلائع بن رزيک.

Abstract:

Affection by the means of the symbolic image, without the affection with it's common origins. So the researcher has taken anumber of avatars, by her analyzing for diagnosis, which means the transmission of in human qualities to aperson. In it abstract meanings are transferred to the perceptible sense. She also dealt with the correspondence of the senses which is the act of describing the perceptions of one sense in another capacity. Then she delt with abstraction which means the transformation of senses into abstract meanings. After that freezing which robbed the life of the organism in general. Finally, the researcher performed a statistical analysis of these means.

Keywords: Image, avatar, Tala'i bin Razik.

مقدمة:

إن الصورة بوجه عام عبارة عن " إعادة تشكيل للواقع، ولا ترتبط به إلا بقدر ما يصبح مكتسبًا خصائصها الذاتية؛ بحيث يصبح للصورة واقعها الخاص، فتصير الأشياء جديدة؛ لأنها عناصر في مناخ جديد، وبنية جديدة، تتمثل فيها كل الملكات والحواس، في لغة هي مزيج غريب من المنبهات المتنافرة"(١)، يكون للخيال فيها الدور الرئيس، فنستطيع أن نجد الكون يغني، والكلام مذاقه جميل؛ فالصورة في الشعر "تخلق من المحسوس فكرًا، وتجد غير المرئي في المرئي، وهي لا تكشف المحسوس بل تصعده، فالعلاقة المرئية تستمد قيمتها مما ترمز إليه من عواطف ومعان وقيم"(٢)، فبفضل الصور استطاع الشاعر أن يعبر عن أحاسيسه ومشاعره وكل ما بداخله من أمور معقدة؛ فالشعر كله "يستعمل الصور ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها مباشرة، أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر"(٣). وفي سبيل الوصول إلى هذه المعاني الغامضة، حاول الشاعر استخدام بعض وسائل التصوير الرمزي؛ كي يصل لهدفه المنشود؛ وذلك لأن اللغة العادية –غالبًا– ما تعجز عن التعبير عن كل ما يشعر به المبدع.

والرمز في أساسه يتكون عندما " تتصل بعض عواطفنا بمناظر أو أشياء مادية معينة نتيجة لموقف لنا معها، أو واقعة ارتبطت بها، وحينذاك تتحول هذه الأشياء والمناظر إلى مثيرات تذكرنا بمضون تلك المواقف والوقائع، وهذه أبسط أنواع الرموز"(٤)، وإذا كان الرمز في أساسه عبارة عن " تشابه الأثر النفسي، وليس المحاكاة الخارجية؛ فإن النتيجة المباشرة لهذا أن الرمز لا يقرر ولا يصف بل يومىء ويوحي بوصفه تعبيرًا غير مباشر عن النواحي النفسية وصلة بين الذات والأشياء تتولد فيها المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"(٥)، ومن هنا، يمكن القول: إن الصورة الرمزية هي صورة إيحائية، تقوم بالإشارة والإيماء والإيحاء، وليس التصريح والتقرير.

وجدير بالذكر أن توظيف وسائل التصوير الرمزي في شعر الشاعر؛ لا يعد "سببًا لضمه إلى زمرة الرمزيين، فاستعمال هذه الوسائل –أو بعضها– يكاد يكون سمة لا يخلو منها شعر"[٦]؛ فهناك فرقٌ شاسع بين الشعراء الرمزيين، والشعراء الذين يقومون بتوظيف وسائل تشكيل الصورة الرمزية، الذين يطلق عليهم شعراء رمزية التعبير، ورمزية التعبير تعني الإفادة من وسائل الرمزية في التعبير والصياغة الجزئية دون التأثر بأصولها المذهبية أو فلسفتها العامة، أما الرمزية بصفة عامة فلا تتحقق بالعلاقات الجزئية بين الكلمات، بل تستمد معناها الرمزي من الأسلوب كله.[٧]

ومن الخصائص الفنية التي تجلت فيها رمزية التعبير عند طلائع بن رزيك ما يأتي:

١- التشخيص.

يعد التشخيص من أقدم الوسائل الفنية التي عرفها الشعر العربي والعالمي، وهو إضفاء انفعالات الكائنات الإنسانية وسماتها على الأشياء غير الإنسانية[٨]؛ حيث يقوم الشاعر عند توظيف هذه الوسيلة بـ "خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية. هذه الحياة التي ترتقي فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات؛ وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية، تشارك بها الآدميين، وتأخذ منهم وتعطي؛ وتتبدى لهم في شتى الملابسات؛ وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يلتبس به الحس، فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبونه، في توفز وحساسية وإرهاف".[٩]

ومن الجدير بالذكر أن التشخيص هو أمر راسخ في عقول البشر ووجدانهم منذ القدم، فهو "صفة تتسرب في كياننا عميقة موغلة لأسباب قد يكون من بينها بقايا الاعتقادات القديمة في أنفسنا ...، وحاجة الإنسان إلى وثاق يربطه بالطبيعة"[١٠]، ولقد

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن التشخيص، وذلك في أثناء حديثه عن الاستعارة قائلًا: "فإنك لترى بها الجمادَ حيّاً ناطقًا، والأعجمَ فصيحًا، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً".(١١)

فالشاعر من خلال بثه للحياة الآدمية لكل ما تقع عليه عينه في الحياة أو يدور في ذهنه من مجردات؛ يسهم في توضيح المعنى وتقريبه لذهن المتلقي، كما أنه يسهم في الإيجاز والاقتصاد، وإزالة الملل والرتابة الناتجة عن التعبير الصريح التقريري المباشر.

والشاعر قد يعمد إلى المعاني المجردة ويشخصها، أو قد يعمد إلى المحسوسات ويقوم بتشخيصها، وفي الديوان وجدت الباحثة النوعين؛ فمن النوع الأول قول الشاعر: الكامل

ولو أنَّني أَبْكي دَمًا ما قُلتُ إذْ ... طالَ البُكا أُكْفُفْ وازْدَجرْ يا مَدْمَعي
إذْ فيهم **شَهَرَ الزَّمانُ** صَوارمًا ... ونحاهمُ في هَبْذَر المُتَدّرعِ
وَكَفاه إذْ خصَّ الحُسين وآله ... بالشَّرِّ والقتلِ الذَّريعِ الأَشنعِ(١٢)

استطاع الشاعر أن يعبر عن مدى حزنه على ما أصاب آل البيت على يد بني أمية، وذلك من خلال إضفاء عنصر التشخيص، فبالنظر إلى البيت الثاني نجد أن الشاعر قد شخص الزمان، وذلك في قوله: (شهر الزمان)، فالشاعر قد عمد إلى بث الحياة الإنسانية على اللفظ المجرد (الزمان)، فأخذ يصور لنا هذا الزمان وكأنه محارب تقلد سلاحه ولبس درعه وتجهز وأصبح على أتم استعداد؛ وذلك لمحاربة الإمام الحسين بن علي –رضي الله عنه– فسل الزمان سيفه في وجه الحسين وحاربه أشد محاربة؛ حتى استطاع أن ينال منه.

فالشاعر يرى أن الزمان قد ظلم الإمام الحسين حين خصه بالحرب والقتل، فأصبح قلب الشاعر يتمزق من شدة الحزن عليه كما أن عينيه لم تكفا عن البكاء.

وقد أسهم التشخيص هنا، في نقل هذه المشاعر الحارة الصادقة التي يريد طلائع التعبير عنها، فالشاعر رسم للمتلقي لوحة فنية شاهد فيها المتلقي البطل المحارب (الزمان) وهو يسل سيفه لمحاربة الحسين خاصة وبني هاشم عامة، وفي ذلك دلالة على شدة الظلم الذي تعرض له الحسين.

ومن ذلك قوله: البسيط

لمّا تذكرتُ إذْ سالّتْ دِماؤهُم عَلى النّحورِ **مَضى صَبْري وَوَدَّعني**[١٣]

يعبر الشاعر في البيت السابق عن مدى حزنه على ما أصاب آل البيت، وذلك من خلال توظيفه لعنصر التشخيص؛ فقد شخص الشاعر المعنى المجرد (الصبر)، وبث فيه الحياة والحركة، وجعل منه صديقًا يودع صديقه، ويغادر المكان ويذهب إلى مكان آخر، فالتشخيص –هنا– بالإضافة إلى أنه قد عمل على إضفاء الحيوية والحركة على المعنى، فإنه أسهم في إيصال المعنى للمتلقي بشكل أوضح، فكان المعنى أبلغ في التأثير في سامع الأبيات، كما أن الشاعر استطاع أن يجعل من التشخيص آلة يعزف عليها ألحان الحزن والألم النفسي الذي يشعر به.

أما النوع الثاني وهو تشخيص المحسوسات، فمنه قول الشاعر: الخفيف

كرهَ الشّامُ أهلَهُ فَهْو مَحْقُو قٌ بِألّا يُقيمُ فِيهِ لَبِيبُ
إنْ تجلَّتْ عَنْهُ الحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَفَتْها زَلَازِلٌ وخطوبُ
رَقَصَتْ **أرضُهُ** عشيَّةَ غنَّى **الرعدُ** في الجوِّ والكريمُ طَرُوبُ
وتثنَّتْ **حِيطانُهُ** فَأَمَالَتْ هَا شَمَالٌ بِزَمْرِهَا وجَنُوبُ
لا هُبُوبٌ لنائمٍ مِنْ أَمانيـ ـهِ وللعاصِفاتِ فيها هُبُوبُ
وأَرى **البَرقَ** شامتًا ضَاحِكَ السِّنـ ـنِ وللجوِّ **بالغيومِ** قُطوبُ
ذَكروا أنَّه تَذُوبُ بِهِ السُّحْـ ـبُ فما للصُّخُورِ أيضًا تَذُوبُ
أَبِذنْبٍ أَصَابَها قَدَرُ اللـ ـهِ **فلِلأرضِ** كالأنَامِ ذُنُوبُ[١٤]

رسم لنا الشاعر صورة واضحة عن الشام وما أصابها من حروب وزلازل، وهو في ذلك قد استعان بعنصر التشخيص، فقد قام الشاعر بإضفاء وبث الحياة الإنسانيةعلى بعض الألفاظ الجامدة في الأبيات السابقة؛ فنجد في الشطر الأول من البيت الثالث الأرض ترقص، والرقص فعل من الأفعال الإنسانية، كما نجد في الشطر الثاني من البيت نفسه أن الرعد يغني، والغناء فعل من الأفعال الإنسانية أيضًا، وعندما ننظر إلى البيت الرابع نجد أن الجدران الجامدة الثابتة الراسخة، تتمايل وتتثنى كالفتاة الجميلة التي تتمايل وتتثنى في مشيتها، أما البيت السادس فنجد أن في الشطر الأول منه؛ قد شخص الشاعر البرق وجعل منه إنسانًا يضحك ويشمت في غيره، وفي البيت الأخير نجد أن الشاعر قد عاد ليشخص الأرض مرة أخرى ويجعل منها إنسانًا له ذنوب ومعاصي، قد تكون هذه الذنوب وتلك المعاصي سببًا في الزلازل التي أصابتها.

في الأبيات السابقة نلحظ أن الشاعر قد عمد إلى عناصر الطبيعة (الأرض– الرعد – البرق) وغيرها من المحسوسات مثل قوله: (حيطانه)، وأخذ في إسقاط الحياة الإنسانية عليها، واتخذ منها صديقًا له؛ كي تشاركه مشاعره وأحاسيسه.

يعود الشاعر مرة أخرى ليشخص أحد عناصر الطبيعة وهو (الغيث)، وذلك في قوله: البسيط

أناشدُ الغيثَ أنْ لا يستقلَّ إلى أنْ تَرْتَوي أَعْظُمٌ قد حلَّت النَّجفا[١٥]

وظف الشاعر في البيت السابق عنصر التشخيص، فجعل المطر إنسانًا يتحدث إليه ويناشده ويطلب منه ألا يذهب ولا يغادر قبر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حتى ترتوي عظامه، فالشاعر–هنا– استطاع أن يتخذ من المطر صديقًا له؛ ليشاركه انفعالاته النفسية، وما يجول في خاطره، ويعبر له عن مدى حبه للإمام علي.

وقد أسهم التشخيص –هنا– في إزالة الملل والرتابة لدى المتلقي، والتي تنتج عن التعبير التقريري المباشر، كما أنه أسهم في تحقيق الإيجاز والاختصار في توصيل المعنى للمتلقي.

٢- التجسيد

التجسيد أحد الوسائل التي يشكل بها الشاعر صوره الشعرية، وهو "تحويل المعنويات من مجالها التجريدي إلى مجال آخر حسي، ثم بث الحياة فيها أحيانًا وجعلها كائنات حية تنبض وتتحرك"(١٦)، هذه الكائنات الحية كائنات حيوانية لا ترتقي لدرجة إنسانية، وإلا تحولت الصورة إلى تشخيص.

ونقل المعاني المجردة إلى الحسي المدرك بالحواس، أمر عظيم يسهم في الكثير من السمات التي تميز العمل الأدبي عن غيره، فهو يسهم في توضيح المعنى للمتلقي وتقريبه؛ لأن المعاني المجردة تحتاج إلى توضيح أكثر من الحسي المدرك، كما أنه قد يسهم في بيان قدرة المبدع ومهارته الفنية، هذا المبدع الذي استطاع أن يحطم كل الحواجز والقيود الموجودة بين الماديات والمدركات بالحواس، فاستطاع أن يجعل إحداهما هي الأخرى نفسها، كما أنه يسهم في نقل مشاعر المبدع إلينا بسهولة ويسر، وذلك لأن " الصور التي تقوم على التجسيم لا يعول عليها في وصف الواقع المشاهد وإنما دورها وصف أعماق الشاعر وما ينطبع في نفسه من انفعالات مختلفة وتقديم كل ذلك في قوالب مادية بيانية".(١٧)

والتجسيد نوعان، أولهما: ما يجسد المعنويات المجردة إلى محسوسات، وثانيهما: يكون تجسيدها عن طريق بث الحياة والصفات الحيوانية فيها، وبالنظر إلى ديوان طلائع بن رزيك، نجد أن الشاعر قد وظف النوع الأول فقط، من ذلك قول الشاعر: الوافر

فَمـا لَمْـحُ البـروقِ إذا اسـتطارَتْ بأسرعَ منكَ في **هَدْمِ العَلاءِ**(١٨)

وظف الشاعر عنصر التجسيد في البيت السابق، فقد جسد المعنى المجرد (العلاء) الذي يعني المجد والشرف والرفعة، وأعطاه كيانًا ماديًا محسوسًا، فجعله مبنى أو جدارًا يُهدم، فقد استطاع الشاعر من خلال توظيفه لعنصر التجسيد أن يحطم كل الحواجز بين الماديات والمعنويات، وهذا الأمر يبين للباحثة مدى قدرة الشاعر ومهارته الفنية.

ومن ذلك قوله متغزلًا: الرمل

عـاذِلي **عَـذْلُكَ سَـهْمٌ** فـي الحَشـا كَيـفَ كِتمـاني وَسِـرّي قَـدْ فَشـى(١٩)

وظف الشاعر في البيت السابق عنصر التجسيد؛ فقد جسد (العذل) وهو معنى مجرد يعني المبالغة في اللوم، وجعل منه كيانًا ماديًا محسوسًا وهو (السهم)؛ وذلك ليعبر عن مدى معاناته مع كل من يلومه في حبه، فيصف هذا اللوم بالسهم الذي يخترق جسده ويمزقه، فيتألم منه أشد الألم، ويتمنى الشاعر بأن يكف عذاله عن لومه؛ لأنه لن يقدم ولا يؤخر شيئًا بالنسبة له.

وتوظيف الشاعر لعنصر التجسيد هنا، قد أسهم في توضيح المعنى وتقريبه للمتلقي؛ وذلك لأن المعاني المجردة تحتاج إلى تفسير أكثر من الحسي المدرك بالحواس الخمس.

ومن ذلك قوله في مدح أمير المؤمنين: السريع

فهـو لسـانُ الصـدقِ ميـزانُ حكـمِ اللهِ مـا بـين الموازيـنِ
نهـجُ العلـى الهـادي الـذي **حبُـهُ** **سـفينةٌ** فـي الحشـرِ تُنْجينـي(٢٠)

وظف الشاعر في البيت الثاني من الشاهد السابق التجسيد، فقد صور حبه لأمير المؤمنين بالسفينة، فهو بذلك قد انتقل من المعنوي المجرد (الحب) إلى المادي المحسوس (السفينة)، وقد أسهم التجسيد –هنا– في بيان مشاعر وأحاسيس طلائع تجاه أمير المؤمنين، فهو يحبه حبًا جمًا، ويرى أن هذا الحب سيكون سببًا في نجاته من هول وفزع يوم الحشر، كما تنجو السفينة بمن فيها من أمواج البحر المتلاطمة، فاستطاع المتلقي من خلال توظيف الشاعر للتجسيد أن يتعرف على المشاعر الداخلية للمبدع وقت إبداعه للنص الشعري، وهذا الأمر من أهم خصائص التجسيد؛ حيث إنه يعمل على "وصف أعماق الشاعر وما ينطبع في نفسه من انفعالات مختلفة وتقديم كل ذلك في قوالب مادية بيانية"(٢١)، ومن هنا فيمكن للباحثة القول: إن التجسيد عبارة عن مرآة عاكسة لمشاعر المبدع وأحاسيسه.

وبالنظر إلى الشواهد السابقة؛ نجد أن الشاعر لم يعبر عن مشاعره وأحاسيسه بشكل تقريري مباشر، بل تجد الباحثة أنه عمد إلى تحويل هذه المشاعر وتلك الأحاسيس إلى جسم جامد محسوس، والشاعر في هذا الأمر يعتمد اعتمادًا كليًا على عنصر الخيال، الذي يستطيع أن يربط بين المادي والمجرد، وهذا الأمر أدى إلى تقريب المعاني إلى ذهن المتلقي.

٣– تراسل الحواس

هي إحدى الوسائل الفنية المستخدمة في تشكيل الصورة الفنية، وهي: "وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى، فتعطي للأشياء التي ندركها بحاسة السمع صفات الأشياء التي ندركها بحاسة البصر، ونصف الأشياء التي ندركها بحاسة الذوق بصفات الأشياء التي ندركها بحاسة الشم، وهكذا تصبح الأصوات ألوانًا، والطعوم عطورًا.. إلخ".(٢٢)

وقد اهتم الرمزيون به بشكل كبير، فهم يرون أنه يجب على المبدع كي تتوافر الصفات الإيحائية لصوره الفنية " أن يلجأ إلى وسائل تعني بها اللغة الوجدانية، كي تقوى على التعبير عما يستعصى التعبير عنه، ومن هذه الوسائل (تراسل الحواس)... وذلك لأن اللغة – في أصلها – رموز اصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة، والألوان والأصوات والعطور تنبعث من مجال وجداني واحد؛ فنقل صفاتها بعضها إلى بعض يساعد على نقل الأثر النفسي كما هو أو قريب مما هو، وبذا تكمل أداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الدقيقة، وفي هذا النقل يتجرد العالم الخارجي من بعض خواصه المعهودة؛ ليصير فكرة وشعورًا، وذلك أن العالم الحسي صورة ناقصة لعالم النفس الأغنى والأكمل"[٢٣]، فهو بجانب ذلك يسهم في جذب انتباه المتلقي إلى النص، فهو يعمل على نقل مشاعر المبدع وأحاسيسه إلى المتلقي بسهولة ويسر.

وفي حقيقة الأمر إن الحواس جميعها تتضافر بعضها مع بعض كي تكون لنا الصورة الفنية؛ حيث إن " التصوير في الأدب نتيجة لتعاون كل الحواس، وكل الملكات، والشاعر المصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية"[٢٤]؛ فتراسل الحواس بذلك يعد وسيلة بالغة الأهمية، فهو "سبيل من سبل توسيع اللغة وإثرائها ومرونتها وحيوية تعبيرها وتجديدها، وهو – من الناحية الفنية – وسيلة إلى نقل الحالة النفسية بدقة أكثر ورهافة أشد؛ حيث يكون اللفظ المنقول أدق تعبيرًا، وأرهف أداء في حالة نفسية معينة؛ لارتباطه بموقف يتلازم فيه شيئان، أو لوحدة الأثر النفسي بين الشيء المنقول له اللفظ والشيء المنقول منه"[٢٥]، ولقد وظف طلائع بن رزيك تراسل الحواس في ديوانه الشعري بشكل لافت للنظر، من ذلك قوله: الطويل

لِـــذَاذَةُ سَمْعـــي فـي قـــــراعِ الكتائـبِ ألـذُّ وأشهـــــــى مِـن عتـابِ الحبايـبِ
وأحسنُ في عَيني مِن البَرقِ في الدُّجى وميضُ المواضي في غبارِ المَواكبِ [٢٦]

بالنظر إلى الشطر الأول من البيت الأول نلحظ أن هناك تراسلًا بين حاستي السمع والتذوق، فقوله: (قراع الكتائب) من مدركات حاسة السمع، وقوله: (لذاذة) من مدركات حاسة التذوق، وبالنظر إلى الشطر الثاني من البيت نفسه نجد تراسلًا بين حاستي السمع والتذوق أيضًا، فقوله: (عتاب الحبايب) من مدركات حاسة السمع، وقوله: (ألذ وأشهى) من مدركات حاسة التذوق، فتوظيف الشاعر لتراسل الحواس هنا، قد أسهم في بيان مدى قدرة الشاعر الفنية والإبداعية ومهارته، فهو يطلق العنان لخياله الذي يجعله يتخيل مدركات حاسة بصفات ومدركات حاسة أخرى، فبذلك استطاع طلائع أن يتذوق طعم (قراع الكتائب) الذي هو من مدركات حاسة السمع، بل يعجبه هذا الطعم كثيرًا ويتلذذ به، كما استطاع الشاعر أن يتذوق طعم (عتاب الحبايب) الذي هو من مدركات حاسة السمع، ولكن لم يعجبه هذا الطعم بقدر إعجابه بطعم صوت السيوف في المعارك والحروب، ومن هنا استطاع المتلقي أن يدرك جيدًا مدى حب الشاعر للحروب وخوض المعارك، وذلك من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل تحقيق النصر لموطنه.

ومن ذلك قوله: السريع

كأنَّما ذكرُكُم في الوَرى ... أريجُ أنفاسِ الرَّياحينِ
وكلّ مَن قاسَ بِكُم غَيركُم ... في الفضْلِ مِسْكينُ المساكينِ[٢٧]

يمدح الشاعر في الشاهد السابق آل بيت النبوة – رضي الله عنهم جميعًا– فهو يحبهم حبًا جمًا، ويرى أنه لا يوجد أحد يشبههم في هذه الدنيا، وفي سبيل الوصول إلى هذا المعنى؛ وظف طلائع تراسل الحواس، فبالنظر إلى البيت الأول نجد تراسًلا بين حاستي السمع والشم، فجعل الشاعر لذكر آل البيت رائحة جميلة، فقوله: (ذكركم) من مدركات حاسة السمع، وقوله: (أريج أنفاس الرياحين) من مدركات حاسة الشم، فمزج طلائع بين مدركات

الحاستين، ونقل مدركات حاسة إلى حاسة أخرى، قد أسهم في إيقاظ ذهن المتلقي وجذب انتباهه؛ ليحاول إدراك هذا الأمر الذي يعد بالنسبة له غريبًا نوعًا ما.

ومن ذلك قوله في مدح آل البيت: البسيط

ولاؤكُم في ضَميرِ القلبِ مَسْكنه وَذكرُكم في فَمي أَحْلى مِن العَسَلِ[٢٨]

يمدح الشاعر في الشاهد السابق آل بيت النبي – رضي الله عنهم– ويعلن انتماءه وحبه لهم.

بالنظر إلى الشطر الثاني من البيت؛ تجد الباحثة أن طلائع قد وظف تراسل الحواس، فهناك تراسل بين حاستي السمع والتذوق، فقوله: (ذكركم) من مدركات حاسة السمع، وقوله: (أحلى من العسل) من مدركات حاسة التذوق، فجعل الشاعر لذكر آل البيت طعمًا حلوًا لذيذًا يفوق طعم العسل الذي يتميز بحلاوة طعمه، وهذا التراسل الواقع بين الحاستين قد أسهم في بيان مدى حب طلائع ابن رزيك لآل البيت، واحترامه وتقديره لهم.

هكذا قد امتزجت مدركات الحواس بعضها مع بعض؛ لتعبر عن" أحاسيس الشعراء التي تعجز اللغة العادية عن البوح بها، والتعبير عنها، وتصبح المحسوسات مشاعر وأحاسيس تكشف عن نفسية الشعراء، وتوصل ما يريدون توصيله للمتلقي"[٢٩].

٤– التجريد

وسيلة من وسائل تشكيل الصورة في الشعر، وهو " تحويل المحسوسات من المجال المادي الذي هو طبيعتها، إلى مجال معنوي هو من خلق الشاعر"[٣٠]، وهو بذلك عكس التجسيد، فالشاعر بتوظيفه للتجريد ينتقل بالمعنى من الوضوح إلى الغموض؛ الأمر الذي يؤدي إلى جذب ذهن القارئ وانتباهه وفكره وكيانه، كي يستطيع

فهم العلاقة القائمة من هذا المجرد وذاك المحسوس، والشاعر عندما يقوم بنقل الشيء المدرك بالحواس إلى شيء مجرد من الإدراك، فهو بذلك يريد أن يصل بشعره إلى درجة أرقى وأعلى وأسمى، فالصورة التجريدية تعمل على " تقريب مأخذ المعاني من المتقبل غير أن الذي تقربه من المعاني أصولها والمصادر التي تستمد منها مظاهرها لا مظاهر المعاني...أن الصورة المجردة هي دائمًا وأبدًا المعين الذي يستمد منه الموصوف المحسوس حقيقة وجوده"(٣١)، ولقد وظف طلائع بن رزيك التجريد في ديوانه، من ذلك قوله متغزلًا: البسيط

إِنْ مالَ عَنّي فقَدْ مالَ **النَّعيمُ** وَإِنْ يَمِل إليَّ أجده غايةَ **الأَمَلِ**(٣٢)

يتحدث الشاعر في البيت السابق عن محبوبته، فقد صور لنا المحبوبة في حالتين متناقضتين؛ أولهما: صورها بالنعيم الذي يميل عنه بمجرد بعد المحبوبة عنه، وثانيهما: صور المحبوبة بالأمل، وذلك في حالة قرب المحبوبة منه، والشاعر في كلتا الحالتين قد صور المحبوبة وهي كائن حي محسوس، بأمر معنوي مجرد وهو في الشطر الأول قوله (النعيم)، وفي الشطر الثاني قوله (الأمل)، والشاعر في توظيفه للتجريد هنا، أراد أن يسمو بالمحبوبة من "مستوى الأعمال العادية إلى مستوى الأعمال البطولية"(٣٣)، وذلك من خلال جمعه بين المتناقضات.

ومن ذلك قوله: مجزوء الكامل المرفل

وَهْوَ **السَّعادةُ** إنْ بعد نا عَن مَنازِلِها شَقينا(٣٤)

يتحدث الشاعر في الشاهد السابق عن نبينا محمد ﷺ الصادق الأمين، ويصوره الشاعر بالسعادة التي يحظى بها المؤمن في الدنيا والأخرة، فإن ابتعد المسلم عن دين محمد أصابه الهم والحزن والشقاء.

وبالنظر إلى البيت؛ نجد أن الشاعر قد وظف التجريد، وذلك في تصويره للنبي بالسعادة، فالسعادة لفظ معنوي مجرد، والشاعر قد انتقل من الوضوح إلى الغموض؛ رغبة منه بأن يصل بشعره لدرجة أعلى وأسمى، وأن يبتعد عن الملل والرتابة الناتجة عن التعبير المباشر الصريح.

٥- التجميد

التجميد هو؛ سلب سمة الحياة من الكائن الحي – سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا– حتى يظهر لنا في صورة جماد لا حياة فيه؛ وذلك لدلالة معينة يقصدها الشاعر قصدًا.(٣٥)

ولقد وظف الشاعر التجميد في شعره، من ذلك قوله: الطويل

عليٌّ هو **الشَّمسُ المُنيرةُ** في الضُّحى **هو البدرُ** تمًّا في سماءِ المناقِبِ(٣٦)

وظف الشاعر في البيت السابق التجميد، وذلك في مدحه للإمام علي بن أبي طالب ﷺ، فقد قام طلائع بن رزيك بتشبيه علي بن أبي طالب بالشمس المنيرة في الشطر الأول، كما أنه قد شبهه بالبدر التام في الشطر الثاني، فهو بذلك قد سلب سمة الحياة من علي بن أبي طالب، ومنحه سمة الجماد (الشمس والبدر)، والشمس والبدر يشتركان في كونهما سببين في إنارة الدنيا للعالمين، فلا يضل أحد الطريق أبدًا، فكذلك الإمام علي – من وجهة نظر الشاعر– قد أنار الدنيا للناس وأنقذهم من ظلمات الجهل واهداهم إلى نور الحق، وقد استطاع الشاعر من خلال توظيفه للتجميد؛ أن يعبر عن هذا المعنى بسهولة ويسر، وإيصاله إلى المتلقي بشكل سلس وميسر.

ومن ذلك قوله: البسيط

فآلُ أحمدَ فاقوا النّاسَ أَجْمعهم كما يفوقُ **ثمينُ الجوهرِ الصَّدَفا**

ماذا أقولُ أنا والواصفونَ لَهُم وَقَدْ تعالوا على أوصافِ مَنْ وَصَفا(٣٧)

وظف الشاعر في البيت الأول من الشاهد السابق التجميد، وذلك حين قام بتعطيل سمة الحياة في الكائن الحي (آل البيت، وغيرهم من الناس) ومنحه سمة الجماد (الجوهر، الصدف)؛ فطلائع –هنا– قام بتشبيه آل البيت بالجواهر الثمينة التي لا تتغير قيمتها، ولا يضيع رونقها ولمعانها مع مرور الزمن، كما قام بتشبيه غيرهم من الناس بالصدف، وشتان ما بين الجواهر الثمينة والصدف، وفي ذلك إشارة من الشاعر بأن آل البيت ليس لهم مثيل في هذه الدنيا، فالعلاقة بينهم وبين غيرهم من الناس، كالعلاقة ما بين الجواهر الثمينة والصدف، فلا يوجد مجال للمقارنة بينهم أبدًا، وهذا ما أكده الشاعر في البيت الثاني، وذلك في قوله: (وقد تعالوا على أوصاف من وصفا)، فلا يوجد أحد من الناس يستطيع أن يصفهم، فهم أعلى وأرقى من أن يُشبهوا بشيء أو يُقارنوا بشيء، فهم آل بيت محمد ﷺ، ومنهم علي بن أبي طالب والحسين بن علي، الذي يعد المثل الأعلى والوحيد بالنسبة لطلائع بن رزيك.

ومن ذلك قوله: البسيط

همُ السَّفينةُ ما كنّا لنطمعَ أَنْ ننجو مِن الهولِ يوم الحشرِ لولا هي[٣٨]

وظف الشاعر في البيت التجميد، وذلك حين قام بنزع الحياة من بني هاشم، وصورهم بالسفينة وهي جماد في إشارة منه بأنهم سبب نجاته يوم القيامة، فكما أن السفينة تحمي الإنسان من الغرق – بإذن الله – كذلك بنو هاشم سينقذون الشاعر ويخلصونه من هول وفزع وخوف وقلق يوم القيامة؛ فطلائع يؤمن بأن انتماءه لبني هاشم وحبه لهم ومدحه إياهم؛ هو سبب نجاته في الدنيا والآخرة، وإن الله – سبحانه وتعالى– سيغفر له جميع خطاياه؛ بسبب هذا الحب وذاك الانتماء.

هذه هي وسائل التصوير الرمزي التي اعتمد عليها طلائع بن رزيك في ديوانه، وإذا قامت الباحثة بعمل إحصاء لهذه الوسائل، يتضح الآتي.

النمط	عدد مرات وروده	النسبة المئوية
التشخيص	١٨٧	% ٣٥,٢٨٣
التجسيد	١٦٢	% ٣٠,٥٦٦
التجريد	٧٠	% ١٣,٢٠٧
التجميد	٥٨	% ١٠,٩٤٣
تراسل الحواس	٥٣	% ١٠,٠٠٠
المجموع	٥٣٠	%١٠٠

بالنظر إلى الجدول الإحصائي السابق نجد أن عنصر التشخيص قد احتل المرتبة الأولى من بين توظيف الشاعر لوسائل التصوير الرمزي، فقد جاء بنسبة ٣٥,٢٨٣ %، وذلك لأنه أقرب إلى فهم وإدراك المتلقي، والشاعر في توظيفه للتشخيص نجده يتجه إلى اتجاهين مختلفين؛ فتارة يشخص المعاني المجردة، كتشخيصه للزمان والصبر، وتارة أخرى نجده يشخص كل ما حوله من جماد يدرك بالحواس، كتشخيصه لعناصر الطبيعة؛ فعمد الشاعر من خلال التشخيص إلى بث الحياة والصفات الإنسانية لمعانيه وأفكاره، ولكل ما تقع عليه عينه، فنجد الجمادات والمعنويات تتحدث وتتحرك أمام أعيننا، وهذا الأمر قد ساعد الشاعر في التعبير عن معانيه وعن كل ما يدور في خلجات نفسه، كما أن التشخيص قد أسهم في إضفاء الحيوية والحركة على النص الشعري، وإزالة الملل والرتابة الناتجة عن التعبير التقريري المباشر.

وجاء في المرتبة الثانية عنصر التجسيد، وذلك بنسبة ٣٠,٥٦٦ %، وقد أحسن الشاعر توظيف التجسيد في شعره، فالتجسيد قد جعل معاني الشاعر أوضح بالنسبة للمتلقي؛ وذلك لأن المعاني المجردة تحتاج توضيحًا أكثر من المعاني الحسية المدركة، كما أنه أسهم في بيان قدرة المبدع ومهارته الفنية، هذا المبدع الذي استطاع أن يحطم كل الحواجز والقيود الموجودة بين الماديات والمدركات بالحواس، فنجد أن

الشاعر قد جسد المكانة العالية وجعله منها مبنى يُهدم، وجسد الحب وجعل منه سفينة تنقذ المبحرين، كما أنه جسد العذل وجعله سهمًا يخترق الجسد فيسبب الكثير من الآلام...إلخ.

وجاء في المرتبة الثالثة عنصر التجريد، وذلك بنسبة ١٣,٢٠٧ %، والتجريد وعلى الرغم من كونه يعد انتقالًا من الوضوح إلى الغموض؛ فإن الشاعر استطاع أن ينتقل به من مستوى الكلام العادي، إلى مستوى الكلام الإبداعي، كما أنه استطاع أن يثير ذهن المتلقي لفهم العلاقة بين المجرد والمحسوس، وانتقال الشاعر بالمعنى من الوضوح إلى الغموض لا يدل على رغبة الشاعر في إصابة نصه الشعري بالخلل، بل إنه يريد أن يقوي الجانب الإيحائي في توظيفه للصورة الشعرية.

وجاء في المرتبة الرابعة عنصر التجميد، وذلك بنسبة ١٠,٩٤٣ %، والشاعر في توظيفه لهذا العنصر استطاع أن يعبر عن الكثير من الدلالات والمعاني التي لم يتمكن من التعبير عنها بالأسلوب العادي التقريري.

أما المرتبة الخامسة والأخيرة فكانت من نصيب تراسل الحواس، فقد ورد هذا العنصر بنسبة ١٠ % من مساحة الديوان، والشاعر في توظيفه لهذا العنصر أطلق لخياله العنان للتعبير عما يشعر به، وعن المواقف التي مر بها، وعن كل ما بداخله بأسلوب شيق.

الهوامش

(١) التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، د. مصطفى السعدني، ص ٨٦.

(٢) دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، ص ١٦٨.

(٣) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ص ٢١٧.

(٤) الرمز والرمزية، د.محمد فتوح أحمد ، ص ١٣٦.

(٥) الرمز والرمزية، د. محمد فتوح أحمد، ص ٤٠.

(٦) شعر محمد عبد الغني حسن دراسة فنية، د. زينب فؤاد عبد الكريم، ص ٢٢٩.

(٧) ينظر الرمز والرمزية، د. محمد فتوح أحمد، ص ٢٤٦.

(٨) انظر: معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص ٣٧.

(٩) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ٧٣.

(١٠) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ص ١٣٦.

(١١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٣.

(١٢) الديوان، ص ٩٠.

(١٣) الديوان، ص ١٤٧.

(١٤) الديوان، ص ٦٣.

(١٥) الديوان، ص ٩٦.

(١٦) تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد هيكل، ص ٣٣٢.

(١٧) خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، ص ٢٠١.

(١٨) الديوان، ص٥١.

(١٩) الديوان، ص٨١.

(٢٠) الديوان، ص ١٥.

(٢١) خصائص الأسوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، ص ٢٠١.

(٢٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، ص ٧٨.

(٢٣) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص ٣٩٥.

(٢٤) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ص ٨.

(٢٥) تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد هيكل ، ص ٣٣٢.

(٢٦) الديوان، ص ٥٣.

(٢٧) الديوان، ص ١٥٠.

(٢٨) الديوان، ص ١٠٩.

(٢٩) قراءات تحليلية في النص الشعري، د. عزة جدوع، ص ١٦٨.

(٣٠) تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد هيكل، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٣١) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، ص ٢٠٥.

(٣٢) الديوان، ص ١٣٠.

(٣٣) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، ص ٢٠٥.

(٣٤) الديوان، ص ١٥١.

(٣٥) انظر، الصورة الفنية عند عبيد الشعر. دراسة تحليلية، د. زينب فؤاد عبد الكريم، ص ٣١٥.

(٣٦) الديوان، ص ٥٤.

(٣٧) الديوان، ص ٩٦.

(٣٨) الديوان، ص ١٦٨.

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

١- ديوان طلائع بن رزيك، محمد هادي الأميني، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٤.

ثانيًا- المراجع:

١- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١.

٢- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ٢٠٠٤

٣- التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

٤- تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٩٤.

٥- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط ١٩٩٦.

٦- دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.

٧- الرمز والرمزية، د.محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤

٨- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، د.ط، د.ت.

٩- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد، ابن سينا، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٢

١٠- قراءات تحليلية في النص الشعري، د. عزة جدوع، مكتبة المتنبي، ط٣، ٢٠١٢.

١١- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ط١، ١٩٨٦

١٢- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، القاهرة، د.ط ،١٩٩٧.

الرسائل العلمية:

١- شعر محمد عبد الغني حسن دراسة فنية، د. زينب فؤاد عبد الكريم، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩١.

٢- الصورة الفنية عند عبيد الشعر حتى نهاية العصر الأموي دراسة تحليلية، د. زينب فؤاد عبد الكريم، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٧.